الفصل السادس عشر بعد المئة

الفن الجاهلي

العمارة :

لظهور الفن وازدهاره في مكان ما لا بد من توفر تربة خصبة فيه تموّنه بالمواد الأولية اللازمة ، ولا بد من وجود جو يساعد على نمو بذوره وانمائها وازدهارها . وجزيرة العرب أرض كما نعلم غلب عليها الجفاف وتحكمت فيها أشعة الشمس المحرقة والسموم الحارة الجافة ، وهي ذات جو مشرق صاف صاحٍ في الغالب ، ولكنه جاف يابس ، لا تبكيه السماء في الغالب إلا بمقدار ، فإذا سالت دموعه، انهمرت انهماراً ، وتحولت الى سيول جارفة عارمة سرعان ما تختفي وتزول ، بأن تغور في باطن الأرض ، وقد تنزل الأمطار نزولاً لا بأس به ، فتخضر الأرض وتنبت الأزهار والأعشاب ، وتضحك ويضحك الناس معها ، وتهيج قرائحهم لفرحهم وطربهم من حصولهم على هذه النعمة الكبرى ، التي لا تدوم طويلاً ، وهذا أمر يؤسف له ، أو قد لا تعود اليهم ثانية إلا بعدَ أجل ، لانحباس البخار مولد المطر ، فيلجأ المخلوق الى خالقه يتوسل اليه أن يغيثه بانزال الغيث عليه بكل الوسائل التي يتوصل اليها عقله لاقناعه آلهته بإنزال المطر ليغيث الانسان والحيوان والنبات .

ولظهور العمارة وفن النحت والزخرف ، لا بد من وجود أحجار صالحة للبناء أو للنحت والحفر ، حتى يكون في امكان المعمار أو النحات تحويلها الى أبنية أو

أصنام وتماثيل أو ما شاكل ذلك . وأرض سهلة لا حجر طبيعي فيها لا يمكن أن يظهر فيها بناء أو فن إلا اذا كانت قريبة من مواطن الحجر أو من مواطن الحضارة حيث تستوردها عندئذ من تلك الأماكن . لذا نجد الفن الجاهلي قد تركز وانحصر وبرز في العربية الغربية وفي العربية الجنوبية وفي المواضع القريبة من مواضع الحجر ومن أهل المدر في الغالب .

وفي اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبنـــاء وللنحت ، كما توفرت فيها ، المواد المساعدة الأخرى التي تدخل في انشاء العمارات مثل الجبس . ولهـــذا قامت فيها بيوت مرتفعة ذات طوابق متعددة،ولا يزال أهل اليمن وبعض أهـل المواضع الأخرى من العربية الجنوبية يبنون البيوت والقصور المرتفعـــة السامقة ، وما كان بوسعهم ذلك لولا وجود المواد الصالحة للبناء ، التي تستطيع البقاء ومقاومة الطبيعة أمداً [1] . وبفضل المواد المذكورة بقيت أبنية من أبنية الجاهليين اليمانيين الى الإسلام بقيت محافظة على نفسها وعلى شكلها العـام ، ولولا يد الإنسان التي لعبت بهـــا وخربت أكثرها لبقيت أزمنة طويلة أخرى ولا شك . ولو كانت تلك الأبنية قد بنيت بالطابوق أو باللبن وبالمواد المستعملة في البناء في وسط وفي جنوب العراق ، لما تمكنت من البقاء طويلاً ، لأنها مواد لا تتحمل معاركة الطبيعة زماناً طويلاً ، لذلك تنهار بسرعة إذا لم ترعاها يد الإنسان دوماً بالاصلاح والتعمير [2] .

وقد ساعدت وفرة الرخام والحجارة الصلدة في اليمن في التعويض عن استعمال الخشب القوي الصلد في البناء فاستعمل المعمارون الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة وفي « الطارمات » أمام الأبنية ، وفي واجهات المعابد بصورة خاصة ، استعملوها بدلاً من الخشب الذي لا يتحمل الثقل كما يتحمله الحجر ، والذي لا يعمر طـــويلاً كما يعمر الحجر . وبفضل هـــذه الحجارة استطاع المعمارون أن يستفيدوا من الماء بإقامة السدود القويـة التي تتحمـل ضغط السيول العالي عليها ، وهذه ميزة لا نجدها بالطبع في العراق .

وقد ساعدت طبيعة اليمن عامل البناء في نحت الحجر وقطعه وصقله وتكييفـــه بالشكل الذي يريده . وتمكن بذلك من وضع أحجار مصقولة بعضها فوق بعض

---

١ A. Grohmann, S. 140.

٢ A. Grohmann, S. 140.

لتكوين أعمدة منها أو جدر معبد أو حيطان سدود أو قصور بحيث يوضع حجر فوق حجر ، فيجلس فوقه بصورة يصعب على الإنسان أن يتبين منها مواضع اتصال الحجر بعضه ببعض . ولولا وجود الحجر الجيد لديه لما تمكن من القيام بإنشاء الأبنية الضخمة المؤلفة من جملة طوابق والتي قاومت الدهر ، ولكان بناؤه من الطابوق ، أي من اللبن الذي حُجّر بالنار ، والطابوق لا يمكن أن يقوم مقام الحجر في البناء ، ولا أن يقاوم الطبيعة وأن يعمر طويلاً . ونظراً لصغر حجمه بالنسبة الى الحجر ، ولضرورة ربطه بعضه ببعض بمادة ماسكة مثل الجبس فإن البناء به لا يمكن أن يكون متيناً ، ولا يمكن أن يقاوم الرطوبة والعوامل الجوية الأخرى ، فيتآكل ويتداعى ، ولا سيما في المواضع السهلة ذات الرطوبة ، أو التي تتساقط عليها الأمطار بكثرة، فتكوّن سيولاً عارمة تكتسح ما تجده أمامها من أبنية مبناة بمادة غير متينة متانة الحجر .

وتفيدنا دراسة المباني اليمانية في الزمن الحاضر فائدة كبيرة في تكوين فكرة عن البناء عن أهل اليمن قبل الاسلام.ففي هذا البناء الذي نراه عناصر عديدة لا تزال حيّة باقية ، هي من بقايا البناء اليماني الجاهلي . وما قاله « الهمداني » في صفة بعض المباني والقصور الجاهلية التي كانت قائمة في أيامه ثم زالت ، ينطبق على أوصاف القصور والمباني القائمة الآن ، كما أن في دراسة أسماء أجزاء البناء وما يستعمل فيه فائدة كبيرة في حلّ كثير من المعضلات الفنية المتعلقة بفن العمارة عند الجاهليين .

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، ويا للأسف ، بسبب اعتداء الانسان بجهله ، عليها . فقد حمله كسله وجهله على تدمير تلك الأبنية ، لاستعمال حجارتها في بناء بيوت جديدة ولأغراض أخرى . ونجد في الأبنية الحديثة ، وأكثرها أبنية رديئة قبيحة بالقياس الى القصور القديمة ، حجارة ضخمة ، بعضها مكتوب كتابة كاملة انتزعت من الأبنية الجاهلية ، وبعضها ناقص الكتابة لتلف الكتابة المكملة أو لنقلها إلى موضع آخر . ونجد حجارة مكتوبة وقد طليت بالجبس ، لاعطاء الجدار الذي دخلت فيه وجهاً أملس . ونجد في الكتب القديمة مثل كتب الهمداني إشارات الى مثل هذه الأعمال ، التي ما تزال جارية مستمرة بالرغم من قرار الحكومات المعنية بمنع هذه الأعمال . وقد حطمت تماثيل جميلة عثر عليها بين الرمال ولا تزال تحطم ، لأنها في نظر العاثرين عليها أصنام لقوم كفرة ، وتماثيل قوم ممسوخين

غضب الله عليهم ، فلا يجوز الاحتفاظ بها ، فهشمت وعبث بها ، وبذلك خسر العرب كنوزاً فنية وذخائر لا تقدر بثمن،كان في وسعنا الاستفادة منها في تدوين تأريخ الجاهليين .

وقد حطمت ودمرت قصور عظيمة في اليمن،بقيت بعضها قائمة الى الاسلام، مثل قصر (غمدان) بصنعاء ، الذي يبالغ أهل الأخبار في وصف ارتفاعه وضخامته، وقد كان مؤلفاً من طبقات بعضها فوق بعض ، ثم هدم وقلّ في الاسلام ، أمر الخليفة (عثمان) بهدمه ، فزالت معالمه ، ولو بقي إلى اليوم لكان من المفاخر[1] ، ومثل المعابد الضخمة،وقصور الأسر الحاكمة ، مثل قصر (شمر) بذي ريدان ، وأبنية أخرى قوضت لأسباب عديدة ، فضاع بذلك علينا تراث مهم . وفعل مثل ذلك في الأبنية الأخرى . ففي العراق مثلاً ، هدمت قصور الحيرة وبيوتها،لاتخاذ حجارتها مادة لبناء الكوفة ، و « وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر ، ان المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور ، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم »[2]. وقد أضاعت علينا هذه الأعمال معالم قيّمة من تراث الجاهليين .

وقد هدم قصر (يهر) (ذي يهر) ببيت حنبص ، وهو أثر جاهلي مهم ، بقي قائماً الى حوالى سنة (٢٩٥) للهجرة ، فأمر بإحراقه (ابن أبي الملاحف) القرمطي ، فأحرق ، وظلت أخشابه تحترق أربعة أشهر على ما يزعمه الرواة ، مبالغة منهم بالطبع[3] .

ولأهل اليمن عادات جميلة أفادتنا فائدة طيبة ، وذلك بوضعهم على الجدر حجارة مكتوبة تحمل اسم الدار أحياناً واسم صاحبها واسم الإلـه الذي تبرك صاحب المبنى بتقديمه اليه تيمناً به ، حتى الترميمات والاصلاحات التي يقوم بها أصحاب البناء تدوّن على هذه الحجارة ، ولا سيما الترميمات والاصلاحات التي تدخل على المعابد والمباني العامة ، تعين عليها بدقة تامة ، فيذكر الموضع الذي ابتدأ به والموضع الذي انتهى منه ، ويذكر مقدار ما صرف عليه في بعض الأحيان .

---

١ تاج العروس (٢/٤٤٦) ، (غمد) .
٢ البلاذري ، فتوح البلدان (٢٨٤) .
٣ الاكليل (١/١٢) (حاشية رقم ١) .

ومن هذه الكتابات أخذ معظم علمنا بتأريخ اليمن القديم .

ويظهر أن أهل الحجاز لم يكونوا على شاكلة أهل اليمن في بناء البيوت الضخمة من الحجارة والمواد البنائية الأخرى التي يعمّر بها البناء عمراً طويلاً ، بدليل ما نشاهـــده في اليمن وفي مواطن أخرى من الجزيرة العربية من بقايا معابد ومبانٍ ضخمة ، وعدم وجود شيء من ذلك في الحجاز ، وبدليل ما أورده أهل الأخبار من قصص عن مباني اليمن العادية ، وما شاهدوه من بقاياها في أيامهم هناك ، وهي تتحدث عن فن عمراني متقدم ، على حين خلت أخبارهم من هذا القصص عن الحجاز ، بل يظهر منها أن أكثر أبنية مكة ويثرب لم تكن إلا أبنية صغيرة ضيقة،أكثرها من اللبن أو الطين ، وقد عرشت بجريد النخل وبالعيدان وبالأخشاب المحتطبة من التلال والجبال . وقد عرفت بيوت أهل الحاجة في مكة بـ (عروش مكة)[1] .

وقد امتازت (يثرب) عن مكة بوجود (الأطم) بها ، والأطم ، هـي قصور تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش فيها سادتها ، وتكون حصوناً لأهل المدينة يتحصنون بها عند دنو خطـــر عليهم ، ويحمون أموالهم بها . وقد بنيت بالآجر وباللبن أحياناً ، وبالطين أحياناً أخرى ، حيث تجعل الجدر عريضة ، لتقف صامدة أمام الدهر وأمام المهاجمين، وتتخذ في أعلى الأطم مواضع يقف عليها المدافعون لرشق المحاصر بالسهام ، أو بالحجارة ، وبصب الماء الحار أو النار عليه ان قرب من جـــدار الأطم . وقد اتخذت الأطم في يثرب ، لعدم وجود سور حولها يحميها من الأعداء ، ولكونها مكشوفة ، لا تحميها حواجز طبيعية ، يتحصن بها أهل المدينة عنـــد دنو الخطر منهم ، فلم يجدوا أمامهم من وسيلة سوى بناء هذه الأطم للدفاع عن أنفسهم ، على نحو ما فعل أهل الحيرة في مدينتهم ، حيث بنوا القصور .

وتوجد في أعالي يثرب إلى فلسطين بقايا حصون وقصور ومواضع قديمـــة ، كانت آهلة عامرة ، أما الآن فلم تبق منها غير بقية من آثارها ، وهي لا تزال مادة (خاماً) لم تكتشف ، ولم تدخلها بعثات علمية منتظمة ، وتشاهد عندها بعض

---

١ المغرب (٢/٣٧) ، « عروش مكة ، بيوتها لانها كانت عيدانا تنصب ويظال عليها »، شرح القاموس (٤/٣٢٢) .

أحجار مكتوبة ، بقلم مشتق من المسند ، وبلهجات عربية تختلف عن لهجة (ال)، أي عن العربية التي نزل بها القرآن ، مما يدل على انها كانت في الأصل لقبائل كانت لهجاتها لا هي عربية جنوبية ولا هي عربية من عربية أهل البوادي، ولكنها كانت متأثرة بالثقافة التي تدون بالقلم المسند ، ثم تأثرت بلغة الأعراب الذين جاءوها من البوادي وذلك قبيل الاسلام ، فنزلت هذه المواضع ، وزاحمت أهلها، ثم غلبتهم على أمرهم ، فاختفت اللهجات العربية القديمة، وحلت محلها لهجة (ال). وسيجد المنقبون الذين سينقبون في المستقبل في هذه المواضع آثاراً ستحدد لهم الاتجاهات الثقافية والحضارية التي دخلت جزيرة العرب ، واللغات التي كانت سائدة فيها .

وفي المسند مصطلحات كثيرة خاصة بالبناء وبالآلات والمواد التي تستعمل فيه، وفي أجزاء البناء . واللهجات العربية الجنوبية هي أغنى بمصطلحات البناء من العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وذلك لأن أهل العربية الجنوبية كانوا حضراً في الغالب وأهل مدر ، حتى أن أعرابهم كانوا يقيمون في أكواخ وعشش ثابتة مستقرة . لهذا كثرت في لغتهم ألفاظ الحضارة التي تقوم على الإقامة والاستقرار. وظهرت عندهم ألفاظ لمواد تستعمل في البناء مثل أنواع الصخور والحجارة ، وكيفية قطعها ، وأنواع الخشب المستعمل فيه ، وآلات القطع أو آلات المعمار وغير ذلك من مصطلحات لا نجد لها مقابلاً في هذه العربية التي نتكلم بها . وذلك لأن حضارة البناء التي ظهرت في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية للأسباب المذكورة لم يظهر ما يماثلها في المواضع الأخرى من جزيرة العرب ، حيث قام عمرانها على المدر بالنسبة للحضر . أي على الأبنية المتخذة من المدر أو من اللبن أو من الآجر. ومثل هذه الأبنية ، لا تحتاج الى مصطلحات والى آلات كثيرة ، ولما كانت الحاجة هي أم الاختراع في اللغات ، لذلك قلّت مصطلحات العمران في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، بينما كثرت فيها مصطلحات أهل الوبر ومصطلحات البداوة ، في مثل أجزاء الخيمة وما يتعلق بحياة الفرس والجمل ، حيث قصرت دونها هنا لغة المسند .

وقد درس الآثاريون في الأيام المتأخرة موضوع الفن العربي الجنوبي ووضعوا بحوثاً فيه ، استندت على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في مواطن الآثار أو من ملاحظاتهم للقطع الأثرية وللصور التي أخذت لها . وقد وجد بعضهم مثل

الباحثة (جاكلين بيرين) Jacqueline Pirenne ، ان الحضارة العربية الجنوبية انما برزت وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، برزت بتأثير الحضارة اليونانية — الفارسية عليها . وقد زعمت ان القلم العربي الجنوبي أخذ من القلم اليوناني في ابتداء القرن الخامس قبل الميلاد ، وان عناصر الحضارة العربية الجنوبية ، وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة ، قد غرفت من مناهل يونانية — فارسية . أما ما قبل هذا الوقت ، فلم يكن لشعوب الشرق الأدنى أي أثر حضاري أو ثقافي على أهل العربية الجنوبية[1] .

وقد درست باحثة أخرى موضوع الفن العربي الجنوبي ، هي (برتا سيكال) Berta Segall . ذهب اجتهادها بها إلى أن هنالك مؤثرات حضارية خارجية أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وأرجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيلليني ، وأثر سوري حثي وأثر فينيقي وإلى عناصر حضارية أخرى . وذكرت ان هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وتولد من هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين[2] .

لقد تبين من دراسة الفخار الذي عثر عليه في العربية الجنوبية انه من صنع محلي ومن تصميم محلي أيضاً . وقد تبين أيضاً انه لا يخلو مع ذلك من المؤثرات الأجنبية التي أثرت عليه ، ولا سيما على المظهر الخارجي للفخار في مثل الزخرفة والشكل . فقد أثر الفخار العراقي والسوري على الفخار العربي الجنوبي . ويظهر من الفخار الذي عثر عليه في (هجر بن حميد) ، انه قد تأثر بمؤثرات شمالية سورية وعراقية[3] .

وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين.وتوجد

---

١ Jacqueline Pirenne, La Grèce et Sabe, Paris, 1955, The Bible and the Ancient Near East, by G. E. Wright, p. 313, 319.

٢ Berta Segall, Sculpture from Arabia Felix, American Journal of Archaeology, 59, 1955, p. 207., Ars Orientalis, II, 1957, p. 37, Promlems of Copy and Adaptation in the second quarter of the First Millennium B.C., American Journal of Archaeology, 60, 1956, p. 165, The Lion Riders from Timna, in Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 155, The Bible and the Ancient Near East, p. 319.

٣ The Bible and the Ancient Near East, p. 320, Belletin of the American Schools of Oriental Research, 172, 1963, p. 55.

لدينا فكرة عامة عـــن فن هندسة المعابد ، أخذناها من فحص معابد (حقه) و (مأرب) و (تمنع) و (حريضة) و (خور روري) . وتقدمت معارفنا أيضاً في موضوع أبنية المقابر والأضرحة عند الجاهليين ، وكذلك عن هندســة البيوت . وقد وجــد أيضاً أن الفن المعماري قد تأثر بمؤثرات خارجية كذلك . بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقية ويونانية ومصرية [1] .

ويظهر الأثر اليوناني على سك العملة عند العرب الجنوبيين . فقد ضرب النقد على شاكلة النقد اليوناني ، لا يختلف عنه إلا في وجود الحروف العربيـة الجنوبية على ذلك النقد . فالنقد العربـي الجنوبـي ، هو تقليد ومحاكاة للنقـــد اليوناني ، الذي ظهر في أيام (البطالمة) و (السلوقيين) ، ويكاد يكون قالباً لها ، أضيفت عليه حروف المسند . فالبومة التي تمثل (أثينا) ، والتي كانت تضرب على العملة اليونانية ، ضربت على النقد العربـي الجنوبـي ، الى غير ذلك من أمور بحث عنها علماء (النمّيات) .

ولكننا لا نستطيع أن نقول اليوم ان معارفنا عن الحضارة العربية الجنوبية قـد تقدمت تقدماً مرضياً ، وانها صارت واضحة مفهومة ، وسوف تبقى معارفنا عن هذه الناحية وعن النواحي الأخرى ناقصة ما دامت أكثر الآثار مدفونة تحت طبقات كثيفة من التربة لم تلمسها الأيدي حتى الآن . لقد تقدمت معارفنا عن هذه النواحي على نحو ما ذكرت بسبب قيام بعض الباحثين المحدثين بالتنقيب في بعض المواضع بصورة جدّية علمية وبشيء من التعمق في باطن الأرض ، ويمكن أن نتصور ما سيحصل عليه الباحثون من معلومات عن الجاهلية لو سمح لهم في التنقيب بأسلوب جدي علمي في باطن الأرض وفي مواطن الآثار .

استعمل اللحيانيون لفظة (بنى) (بنا) للتعبير عن بناء شيء . وذلك كما نفعل نحن في عربيتنا . وتشمل اللفظة بناء كل الأبنية ، من بناء بيوت أو قبور أو غير ذلك . وقد وردت في عدد من النصوص [2] .

ويعبر عن المبنى بالتعبير نفسه في العربيات الجنوبية ، فيقال (مبنى) . وإذا

---

١ The Bible and the Ancient Near East, p. 320.

٢ راجع النصوص ١٦ ، ٢٦ ، ٧٤ ، ٩٠ من كتاب : W. Caskel, S. 133.

أريد التعبير عن تقديم البناء الى إلـه أو جماعة ، كأن يسمى باسم الإلـه ويحبس عليه ، فيعبر عن ذلك بلفظة (قتدم) أي قدم بهذا المعنى المفهوم منها في عربيتنا، وبمعنى أهدى[1] . وأما الفعل فهو (بنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « عسى وبنى »[2] ، أي « تملك وبنى » . و (هبنى) ، وذلك كما في هذه الجملة : « هبنا عقبتهن قلت »[3] ، أي « بنى قلعة قلت » . ويراد بـ (عقبت) (عقبة) القلعة . وللفظة علاقة بكلمة (عقبة) التي نستعملها نحـن بمعنى صعوبة وعائق ، ونجمعها على (عقبات) .

واستعمل اللحيانيون لفظـة (حفر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا . استعملت لكل أنواع الحفر : حفر الأسس أو الآبار أو العيون ، أو الحفر على الأحجار والخشب ، لغرض النقش والزخرفة ، أو لأي هدف آخر[4] .

ويشق المعماريون أسساً في الأرض للأبنية الفخمة ، كالبيوت المؤلفة من طبقات عدة كالمعابد ، لتحمل الأرض ثقل البناء . ويختلف عمق الأساس وعرضه باختلاف سمك الجدار وثقل البنـاء . ويحفر العمال الأرض بالقدر الذي يعينه البناء ، حتى إذا ما بلغوا العمق المقرر ، وضعوا المواد اللازمة كالحجـارة أو الكلس المخلوط بمواد أخرى ، ثم يترك الأساس مدة حتى يجف ويستقر ، ثم يقام عليه الجدار . ويقال لهذا الأساس في العربيات الجنوبية (موثر)،وهي بمعنى (الأس) والأساس والأسس في عربية القرآن الكريم[5] .

وقد ورد في كتب اللغة ، (والوثير) : الفراش الواطىء ، وكذلك الـوثر كل شي جلست عليه أو نمت عليه فوجدته وطيئاً ، فهو وثير[6] .

وتؤدي لفظة (مبحر) معنى : (أساس) وسناد . فـ (مبحر) كل بناء هو أساسه وسناده في لغة السبئيين[7] .

---

١ راجع السطر الاول من النص الموسوم بـ : ثقب الحجر .
٢ راجع النص الموسوم بـ Glaser 1089, 1660, Halevy 208. وهو من معين
٣ الجملة الثانية من نص أبنة ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
٤ راجع النص ٦١ من كتاب : W. Caskel, S. 133.
٥ شرح القاموس (٩٦/٤) ، ابن سلام ، كتاب الاجناس من كلام العرب (ص ١٣) .
٦ تاج العروس (٥٩٨/٣) .
٧ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 439.

وترد لفظة (برا) بمعنى بنى وأنشأ وأقام وشقّ وما شابه ذلك[1] . وترد بعدها لفظة : (هشقر) في الغالب . ومن هذا الأصل لفظة : (مبرام) (مبرا) بمعنى بريء من الدين ، وبراءة الذمة[2] . وترد لفظة (برأ) في كتب اللغة بمعنى الخلق . و (البرية) : الخلق ، وأصله الهمز ، والجمع البرايا والبرّيات. والبرى: التراب[3] .

وأما (هشقر) فمعناها أكمل الشيء ، وانتهى منه ، وأتمه وغطاه وستره . وهي من أصل : (شقر) ، وترد من هذا الأصل لفظة (تشقر) و (شقرم) ، بمعنى الأعلى والنهاية ، وذلك كما في هذه الجملة : « بتوربم اد شقرم »[4] ، أي من الأساس إلى الأعلى ، أو إلى النهاية . و (ربب) معناها الأساس[5] .

أما أعلى البناء ونهايته ، أي تاجه الذي ينتهي عنده ، فيقال له (تفرع) . و (تفرع) نهاية الجدار وأعلاه ، والمكان الذي ينتهي فيه[6] .

ومن العبارات الواردة في بعض النصوص المتعلقة بالبناء ، هذه العبارة : (بن موثر هو عدي مريمن) ، وهي في معنى العبارة : (بن أشرس عد شقرن) التي ترد في النصوص المعينية ، ومعناها من (الأساس الى أعلى)[7]. فلفظة (موثر) وكذلك لفظة (أشرس) هما بمعنى الأساس أي أساس البناء ، و(عد) حرف جرّ بمعنى الى ، و (مريمن) و (شقرن) كلاهما بمعنى أعلى ، أي أعلى البناء .

ويقال لتعلية البناء (تعلى) . أما تقوية البناء والجدر وحمايتها من السقوط ، فيعبر عنه بـ (تصور) ، من أصل (صور) ومعناها وضع أوتدة وأعمدة عند

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 87.

٢ المصدر نفسه (ص ٤٧ حاشية ٤٢) . hodokanakis, Bodenwirtschaft, S. 24.

٣ شرح القاموس (٣٦/١٠) .

٤ الفقرة الخامسة من نص أبنة .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 486.
مجلة المجمع العلمي العراقي ، (المجلد الرابع ، الجزء الاول) ، (١٩٥٦) ، (ص ٢٠٧) « السطر ١٠٣ من نص أبرهة » ،
Mordtmann und mittwoch, Sab. Inschr., S. 45. f.

٦ راجع النص الموسوم بـ : Sab. Denkma., S., 31, CIH 325.

٧ Mordtmann und mittwoch, Alt. Inschr., S. 25.

الجدار أو البناء للتقويـــة والإحكام[1] . وهي بذلك قريبـة من معنى (الظئر) في لهجة القرآن الكريم .

ويعبر عن إتمام بناء ما أو اكمال شيء آخر بلفظة (تقه) و (قه)، بمعنى (وقه) أي أكمل وأنجز . وهي مرادفة للفظة : (تفرع) ، وللفظة (هوعب) أيضاً . وكلها بمعنى الإنجاز والإكمال والانتهاء من عمل ما . ولفظة (قه) هي من أصل (وقه) . وتعني جملة: (إتقه عن) انتهى[2] . وقد ذهب (رودوكناكس) الى أن لفظة (وكن) هي بهذا المعنى أي اكمل وانجز في بعض الأحيان[3] .

ويعبر عن اصلاح البناء وترميمه بلفظة (هحدث) ، وهي فعل ماضٍ أي (أحدث) ، ومعناها أقام ورمم وأحدث وأنشأ . أما سقوط حائط أو سقف أو ما شابه ذلك ، فيعبر عنه بلفظة (تل) و (تلت) ، ومن هذا الأصل لفظة (تلو) ، أي الخرائب والتلال ، وتقابلها لفظة (خيل) في المعينية ، و (ذخبل)[4]، أي تداعى وسقط ووقع .

وفي معنى الاصلاح والترميم أيضاً لفظة (غوث) الواردة في الكتابات المعينية[5]. وقريب من هذا المعنى معنى (غوث) في لهجة القرآن الكريم ، ففي الإغاثة معنى المساعدة والاصلاح وترميم التصدع وإصلاحه .

وترد مع هذه اللفظة لفظة أخرى ، هي (سعذب) ، وهي فعل ماضٍ بمعنى أعاد وأرجع الشيء إلى ما كان عليه[6] ، من أصل (عذب) . وأما حرف السين الداخل على أول اللفظة فإنه في مقام حرف الهاء في السبئية ، يدخلان على المصدر فيحولانه إلى فعل ماضٍ .

ويقال لمقدم كل بناء (صلوتن) (الصلوة)[7] . وقد وردت اللفظة في كتابات

---

١ راجع النص الموسوم بـ : Glaser 1150, Halevy 192, 199.
وكذلـك : Rhodokanakis, Stud., II, S. 54.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.
٣ المصدر نفسه (ص ٤٧) .
٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.
٥ راجع النص : Glaser 1144, Halevy 353,
Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 31.
٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.
٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 31.

دوّنت لمناسبة إقامـــة سدود كذلك . ووردت في بعض الكتابات هذه الجملة : (بن ذت هورتن عدي صلوت بين ذن محرمن وميسلن)[1] ، ومعناها : « من هذه الجهة الخلفية الى الجهة الأمامية أو الصالة الأمامية بين هـــذا الحرم وموقد النار » .

ويقال للجهة الخلفية من البناء (هورتن) . من أصل : (ورت) ، بمعنى وراء . و (وَرَه) في لغة أهل العراق ، وذلك كما نرى في هذا النص .

وتؤدي لفظة (صلوت) معنى (فناء) أيضاً ، وقد تؤدي معنى موضع منعزل أو مكان للصلاة . وقد يراد به فِناء يؤدي إلى (مبسل) يقع مقابله تماماً[2] .

وللفظة (صلوتن) (صلت) (صلوت) معنى آخر بعيد عن هـــذا المعنى بعداً كبيراً ، هو (وثيقة) و (شهادة) و (عقد) ، فتكون في معنى (سمع) و (اسمع) التي تطلق على هذا المعنى أيضاً في العربيات الجنوبية[3] .

ويقال للبـاب (خلف) و (خلفتن) في السبئية . ويـــراد بـ (خلف) و (خلفتن) (الخلفة) الشباك كذلك[4] . وقد كان أصحاب القصور يستعملون الشبابيك كثيراً في قصورهم ، ويزينونها بالرخام الرقيق وبالزخارف لتظهر جميلة خلابة . ويقصد بـ (خلف) و (خلفتن) المنافذ الخلفية كذلك .

وتتكون الأبواب من (مصرع) ، أو من (مصرعي) ، ويراد بذلك (مصراع) واحد أو مصراعان[5] .

ويعبر عن الباب بـ (الخلف) في عربيتنا كذلك[6] . وأما لفظـــة (مصرع الباب) و (المصرع) و (مصراعا الباب) فمعروفة في عربيتنا كذلك[7] .

ويعبر عن الباب العظيم ، أو الباب المغلق وفيه باب صغير : أو عما يغلق به

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 45.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 46.
٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44, Der Grundsatz der affentlichkeit, S. 21, 24, Stud., I, S. 63.
٤ Rhodkanakis, Stud., I, S. 70. والجملة الرابعة من نص أبنة .
٥ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1144, Halevy 353.
٦ اللسان (٩٣/٩) .
٧ اللسان (١٩٩/٨) .

الباب بلفظة (رتج) (رتاج) في اللحيانية[1] . ولفظة (رتاج) لفظة معروفة في عربيتنا كذلك .

ويعبر عن السلالم والدرجات بلفظة (احلين) ، تطلق على السلالم من أية مادة مصنوعة ، من الحجر أو الخشب[2] ، كما يعبر عنها بلفظة (علوم) و (علوه) أيضاً ، لأنها طريق يؤدي إلى أعلى[3] .

ولفظة (علية) ، والجمع (علالي) ، هي عند أهل الحجاز بمعنى غرفة أيضاً ، والجمع (غرف) و (غرفات) . وقد وردت لفظة (غرف) و (غرفات) في القرآن الكريم[4] .

وعبر عن السقف وسطح البناء بلفظة (ظلتن) و (ظلل) أي (الظلة)[5] و (الظل) . وذلك لاستظلال الإنسان بالسقوف وحمايتهـا للبيوت والغرف من وهج الشمس .

ويعبر عن الشيء المسقوف مثل ذي سقف أو ما شابه ذلك بلفظة (مسقفن)[6] ، أي (المسقف) ، من أصل (سقف)[7] . ووردت لفظـة (مسقف) بمعنى الموضع المسقوف[8] .

ويعرف المكان الذي ينفذ منه النور الى مكان ما (مصبح) في الحضرميـة . ويمكن أن نقرأها (مصباح) كذلك . فالمصبح الكوة أو النافذة التي ينفذ منهـا النور الى مكان ما . والنور هو (صبحت) في الحضرمية ، وذلك كما ورد في هذه الجملة : (صبحت عينو)[9] ، أي (نور عينه)[10] .

---

١ النص رقم ٢٢ و ٨٥ من كتاب : W. Caskel, S. 134.

٢ راجع الجملة الرابعة من النص :
Glaser 1144, Halevy 353, Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, Glaser 283, Halevy 238.

٣ Rhodokanakis, Stud., S. 47.

٤ البيان (١٩/١) « لجنة » .

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 29, 30, 54.

٦ CIH, 182.

٧ Mordmann, Himj. Inschr., S. 36.

٨ Glaser, 799, CIH 132, Rhodokanakis, Stud., II, S. 34.

٩ Oslander 29.

١٠ Rhodokanakis, Stud., II, S. 28.

وأما الموضع الذي ينفذ النور اليه ، ويستقر فيه ، وقد يكون مسقوفاً وربما لا يكون مسقوفاً ، فيقال له (منحل)[1] . وعلى هذا المنحل يكون المصبح أي المنفذ الذي ينفذ النور منه[2] .

ويعبر عن الجدار والسور بلفظة (جنا) في لغة المسند[3] .

وقد فسر بعض علماء العربيات الجنوبية لفظة (بره) بمعنى مجاز[4] . ومن هذا الأصل أخذت كلمة (ابرى)[5] ، ولعلها تؤدي معنى خارج كذلك .

وترد لفظة (أدرف) في مصطلحات البناء كذلك[6] ، وتعني طرف البناء ، وطرف كل شيء . وقد استعملت للتعبير عن تحصين جانب القلعة أو الحصن مثلاً ، أو تحصين جوانب وأطراف برج ما[7] .

ويعرف مقدم البناء أو مقدم أي شيء بـ (قدم) وبـ (انف) . أما الجهة المضادة للمقدمة فيقال لها (معذر) ، فمعذر أي بناء أو أي شيء هو الجهة الخلفية لذلك البناء أو لذلك الشيء ، كما تطلق هذه اللفظة على الأسوار الخلفية للمدينة[8] .

ويقال للطابق الأعلى من البناء (علوهو) (علوه)[9] ، و (علين) (عليان)، لعلوّه بالقياس إلى الطابق الذي تحته . أما الطابق الأسفل ، فيقال له (سفله) (سفلهو)[10] .

ويقال للبيت إذا كان فوق البيت (علية) والجمع (علالي) . وتقابل لفظة (علية) لفظة (غرفة) والجمع (غرف) و (غرفات) . والغرفة عُلّية من

---

١ راجع الجملة الثانية من النص : Glaser 1089, 1660, Halevy 208.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.
٣ راجع أيضا الجملة الثالثة من نص أبنة .
٤ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٥ المصدر نفسه .
٦ Müller, in DMG., 37, 383, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٧ CIH, 197, Glaser 181, Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.
٨ Rhodokanakis, Stud., II, S. 64.
٩ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Rhodokanakis, Stud., II, S. 46 f.
١٠ المورد نفسه .

البناء . وسميت منازل الجنة (غرفاً)[1] .

ويعبر عن العمل الفني المتقن بلفظة (نكل) ، ومن هذا الأصل لفظة (نكلو) و (نكلتو) في الأشورية[2] .

وقد كان أصحاب الأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في الأبنية بكل تفصيل لا يكتفون بذكر أسماء المواد حسب ، بل يذكرون حتى صفاتها . فإذا كان الحجر غير مهندس ولا مصقول ذكروه ، وإذا كان مصقولاً ومهندساً ومقطوعاً عبروا عن ذلك بلفظة (تقرم)[3] .

ويقال للحجارة الحادة أو الملساء (زلت) ، وهي تقابل لفظة (زلّة) في لهجتنا[4] وهي بمعنى أرض ذات حجارة ملساء أو حادة في اللهجتين المعينية والسبئية كذلك ، وتعني لفظة (صلال) ألواحاً من الحجر في اللهجة الحضرمية . وأما الجمع فهو (ازلت)[5] .

وتؤدي لفظة (زلت) معنى سيلان الزفت أو القار على أرض ما كأرض غرفة مثلاً أو أرض شارع أو حمّام لتبليط الأرض بهذه المواد . وذلك كما يفهم من هذه الجملة : (زلت أوسطهس) أي (وزفت أو وقير الأواسط) ، ويراد بالأواسط وسط الأشياء أو الشيء[6] .

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع (جرم) (جرب) . ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضاً . وتوضع هذه الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع ، فلا تصقل ، ولا تمسها آلات الصقل . أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها ، فتعرف بـ (منهمّم) (منهمة) . وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى ، وتوضع بينها مواد البناء التي تلزم تلك الحجارة . والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة

---

١ البيان والتبيين (١/١٩) « لجنة » ، المفردات (ص ٣٦٥) .

٢ Rhodokanakis, Stud., I, S. 26.

٣ راجع الجملة الثانية من النص الموسوم بـ : Glaser, 1089, 1660, Halevy 208.

٤ CIH, II, p. 23, Rhodokanakis, Stud., II, S. 35.

٥ راجع الجملة الثالثة من النص : Glaser 144, Halevy 353.

٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 36.

في جبهة الجدار لتكسبه منظراً جميلاً حسناً ، توضع وراءها الحجـارة الأخرى المقطوعة ، وذلك لأن صقل جميع الحجارة التي تدخل في البناء يستنفد وقتاً كبيراً كما يكلف ثمناً باهظاً . ويضع المعمار الحجارة بالطبع وضعاً متناسباً بحيث لا تكون مرتفعة أو منخفضة وتملأ الفرج ومواضع اتصال الحجارة بمواد البنـاء التي تلزمه وتمسكه بين الحجارة [١] .

وقد توضع الحجارة لـ (جرب) على شكل طبقة واحدة في الجدار أو عـلى هيأة طبقات وصفوف للزينة . ونجد هذه الطريقة في أبنية الحبشة كذلك [٢] .

ومن هذا الأصل جاءت لفظة (جربة) و (جروب) بمعنى المدرجات التي يضعها الفلاحون على الجبل ، وذلك لزرعها بأنواع المزروعات ، ولا سيما الكروم [٣] . وكذلك الأسوار التي تحيط بالبساتين .

وهناك من يرى أن (منهمتم) من (منهمت) (منهمة) تعني على العكس الحجارة المقلوعة غير المصقولة . و (حجر منهوم) بمعنى مقطوع غير مصقول [٤] .

وهناك لفظة أخرى تطلق على الحجارة المنحوتة المهندسة باليد هي (تقرم) من أصل (تقر) [٥] . وهناك نوع آخر من الحجر يقال له (بلق) [٦] . وقد ذكر علماء اللغة أن (البلق) الرخام وحجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج [٧] .

ويعبر عن قطع الحجارة من الصخر وعن صقلها لجعلها صالحة للبناء ، بلفظة (اثع) في اللحيانية [٨] . وأرض اللحيانيين أرض صلدة صخرية ، لذلك استخرج اللحيانيون حجر أبنيتهم منها فبنوا بها بيوتهم ، كما نحتوا الصخور وجعلوها على هيأة كهوف لكي تكون ملاجيء لهم .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.

٣ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, SE 48, 92, Ryckmans 340, BASOR, Nu. 83, 1961, p. 24.

٤ Glaser Zwei Inschriften, 47, Rhodokanakis, Stud., II, S. 47. f.

٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 54, 63.

٦ المصدر نفسه (ص ٦٤) .

٧ شرح القاموس (٦/٢٩٨) .

٨ النص ٧٢ من كتاب : W. Caskel, S. 110.

ويعبر عن تكسير الصخور وثقبها وعمل خرق بها بلفظة (جوبن) ، وتعني (الجوب) . والجوب هو عمل نقب في الحجر ، أو ممر . وأما لفظة (جوب) فجمع (جوبة) ، ويراد بها الفراغ بين شيئين[1] .

ويُستعان بفؤوس ومطارق في تكسير الحجارة وهندستها واصلاحها لتتخذ الشكل المطلوب . فتستخدم المطارق الثقيلة في كسر الحجارة . وتكون ذات رؤوس مختلفة الأشكال تناسب المهمة التي تؤدى بها . وتستعمل الفؤوس في هندسة جوانب الحجارة وصقلها ، وهي ذات أشكال مختلفة كذلك ، ، منها ذات رأس حاد نابت يتصل بقاعدة عريضة وتستخدم في نقر الحجارة ، ومنها ذات رأسين حادين عريضين ، ولها خصر في الوسط وتستخدم في شذب أطراف الحجارة وصقلها . ولا تزال هذه المطارق والفؤوس مستعملة في مثل الأعمال التي قام بها الجاهليون .

ويعبر عن تزيين الحائط وزخرفته بالحجارة أو بالأخشاب التي يوضع بين حجر الجدار وطابوقه بحيث تبرز للعيان وتوضع في أبعاد متناسقة ، يعبر عن ذلك بلفظة (موسم) . ومن هنا لفظة (وسم) التي تعني التزيين والتزويق أيضاً[2] . فلفظة (موسم) تعني الزخرفة والنقش في البناء[3] .

وأما الحجارة المصنوعة وما يقال له (طابوق) في العراق ، أي الحجارة المكوّنة من الطين المشوي ، فيقال لها (لبَم) (لبت)[4] . ويراد بها اللبن كذلك أي الطين المجفف . وعادة مزج الحجارة المصنوعة أي الطابوق بالحجارة الطبيعية المقلوعة سواء أكانت مصقولة أم غير مصقولة هي عادة معروفة في البناء في الشرق[5] .

وأما اللبن ، أي الطين المجفف بالهواء وبأشعة الشمس والمصنوع بقوالب ولكنه لم يوضع في النار لإحراقه ، فيقال له : (لبن) أيضاً . وقد ورد (لبن شمس) أيضاً[6] . ويطلق العبرانيون لفظة لبنة على اللبن ، وعلى الطابوق أي اللبن المفخور بالنار .

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 63.
٣ المصدر نفسه (ص ٦٤) .
٤ راجع النص الموسوم بـ : CIH 325, Sab. Denkm., 31.
٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43, 54.
٦ راجع الجملة الخامسة من النص ، Hommel, Aufs. und abh., S. 167, anm. 5.

وقد عثر المنقبون على لبن جاهلي في أماكن متعددة من جزيرة العرب . وقد كان أهل الحجاز يستعملونه في أبنيتهم ، لم ينفردوا بالطبـــع في ذلك وحدهم ، بل كان يفعل ذلك كل الجاهليين ، وقد بني مسجد الرسول باللبن . وكان الرسول ينقله مع الناقلين وهو مختلف الحجم . بعضه واسع ثخـــين ، وبعضه متوسط أو صغير . ويكثر استعماله في الأمكنة التي تقل فيها الحجارة ، وتتقلب على طبيعة أرضها التربة الطينية ، فيكون من السهل على أهلها اقامة ابنيتهم باللبن بارتفاعات مختلفة تبعاً لمتانة البناء ورغبة صاحب البناء في الارتفاع . وقد عثر على آثار قلاع وحصون وأسوار بنيت باللبن . ويمكن لمثل هذه الأبنية البقاء مدة طويلة ، لجفاف أجواء الشرق الأوسط وقلة الأمطار فيه ، ولا سيما اذا كانت ذات أسس وقواعد وجدر ثخينة وفي أماكن جافة بعيدة عن رطوبة الأرض .

أما الطابوق ، أي الآجر ، فيتكون من طبخ اللبن في الكورة أي الأتون ، أو بتكديس اللبن طبقـــات وصفوفاً ، ووضع الوقود بينها ، فإذا اشتعلت النار يضلد اللبن ويشوى فيكون آجراً . وطريقة صنع الآجر بإحراق اللبن في الأتون ، لا تزال شائعة معروفة في جزيرة العرب . وهي طريقة صنع الطابوق عند الفراعنة والسومريين والأشوريين والبابليين وغيرهم من الشعوب .

ولم يكن في استطاعة الفقير بناء بيته باللبن أو بالطابوق ، بل كان يشيد بيته بنفسه بالطين ، فيقيم جدره بالطين طبقة طبقة ، اذا جفت طبقة وضع فوقها طبقة أخرى ، وهكذا ، ويسقف بيته بالأغصان ، وبسعف النخل ، ويضع فوقها طبقة من الطين لتخفف عنه وهج الحرّ في أيام الصيف ، وتمنع عنه سقوط المطر عليه عند نزوله . أما الأعرابي فلم يكن له بيت دائم ، لا من الآجر ولا من اللبن، بل كان بيته خيمة تتنقل معه حيث يشاء ، يستظل بها وينام تحتها ، فهي بيتـــه الحقيقي .

ويقوّى الطين الذي يصنع منـــه اللبن أو تقام به جدر البيوت أو تفرش به سقوف البيوت بالتبن ، يخلط مقدار مناسب منه بالتراب ، ثم يعجن الخليط ويترك مدة حتى يختمر ، ثم يستعمل عندئذ ، فيكون أقوى وأدوم بقـــاءً من اللبن أو الطوف المصنوعَين من التراب الصرف . وهذه الطريقة معروفة أيضاً عند العراقيين والمصريين وعند غيرهم من الشعوب في العهود القديمة ولا تزال مستعملة عنـــد

حفدتهم . ويعرف التبن بـ (تبن teben) عند العبرانيين[1] .

وتطين جدر البيوت الفقيرة والريفية بالطين ، وذلك لتكون ملْساً خالية من الثقوب . ويستعمل الطيّانون آلة تسمى المِسجة . ويذكر علماء اللغة أنها يمانية ، وأنها خشبة يطين بها ، وهي المالجة بالفارسية . ويعبر عن تطيين الحائط بلفظة وسج ، وذلك اذا مسج الحائط بالطين الرقيق . وقد ذكر علماء اللغة أن السجة والسجة صنمان[2] .

ويقال للحجارة المربعة ، سواء أكانت مقلوعة أم مصنوعة ، (ربعتم) (ربعت) (ربعة) أي (مربعة)[3] . وهي تدخل في البناء إما مستقلة ، وإما مع أنواع أخرى من الطابوق والحجارة . وقد توضع على مسافات وأبعاد متناسبة ومتناسقة ، لتكوّن نوعاً من أنواع الزخرف في الجدر . وقد ذكر (الهمداني) في صدد ذلك هذه الجملة: « المكعب وذلك بكعاب خارجة في معارب حجارته على هيأة الدروق الصغار »[4] . وهذا النوع من الزخرفة معروف في اليمن . أما في الحبشة ، فقد كانوا يضعون حجارة منحوتة على هيأة رؤوس قردة للزينة[5] .

ويعبر عن إدخال الحجارة بين حجارة أخرى للزينة أو الزخرفة أو ملء الفراغ بين جبهتي جدار بحجارة صغيرة لسدّ الفراغات (ولج) . أما (مولجم) (مولج)، فتعني الموضع الذي وضعت تلك الحجارة فيه[6] . والايلاج هو إدخال شيء في شيء.

وأما الحفر على الحجر أو الجدار ، بقصد التزيين والزخرفة ، فيعبر عنه بلفظة (فتخ)،وتقابل بلفظة (بتاخو Patahu) . والحفر والنقش العميق على الحجارة والطابوق من مذاهب التزيين المتبعة في الشرق حتى الآن . وقد ذهب (رودوكناكس) إلى أنها تعني معنى (ولج) كذلك ، أي ادخال الحجارة المحفورة والمنقوشة والمنحوتة بين حجارة جدار ما مثلاً للتزيين والتزويق[7] .

---

١ Smith, Vol., III, p. 1386.
٢ شرح القاموس (٢/٥٦) .
٣ CIH 325.
٤ الاكليل (٨٠) « طبعة Müller »
٥ Rhodokanakis, Stud., II, S. 44.
٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.
٧ Rhodokanakis, Stud., II, S. 43.

وتؤدي لفظة : (فلزتم) (فلزت) (فلزة) ، معنى : أبعاد وطريق جانبي واخلاء وحفر ونقب . وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات[1].

وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها ، وذلك لربطها وتقويتها ، ويقال لذلك : (صهرم)[2] من (صهر) ، التي تعني جعل الرصاص مائعاً يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته ، أو لأي غرض آخر من هذ الصهر . وقد استعملوا الرصاص المصهور في سدّ (مأرب) كذلك ، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه[3] .

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون (القيطران) القار في البناء . استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة ، كما استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود . فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من القطران .

وفي معنى (قطر) ترد لفظة (قتر) ، و (قتر) أيضاً . و (القتار) بمعنى الدخان . ومن هذا المعنى جاءت جملة : (قتر اللحم) أي شُوي وظهرت رائحته . وفي معنى (قطر) لفظة (هيع) أيضاً . ومعناها (سال) و(ماع). ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها ، وفي الري لسيلان الماء ، وفي صهر المعادن[4] .

وفسر بعض الباحثين لفظة (هيع) ، بمعنى بنى ، أي أنشأ بناءً ، وفي مقابل لفظة (برا) في المسند[5] .

واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب الى الأسس والجدر والسقوف .

والخشب هو (عض)[6] في العربيات الجنوبية . وقد استعمله العرب الجنوبيون

---

١ Rhodokanakis, Stud., II, S. 47.
٢ Rhodokanakis, Stud., II, S. 48.
٣ Wissmann-Hofner, S. 25.
٤ شرح القاموس (٣/٤٧٩) ، Rhodokanakis, Stud., II, S. 168.
٥ Jamme, South Arabian Inscriptions, p. 427, 433.
٦ Rhodokanakis, Stud., II, S. 26.

في تسقيف بيوتهم ، ولعمل الأبواب ، كما أدخلوها في البناء كذلك لتقويتـــه . أما لفظة (عضن) (العض) ، فقد ذهب (رودوكناكس) الى أن المراد بها نوع خاص من الخشب ، نوع ذو رائحـــة زكية ، يستعمل خاصة للحرق في مذابح المعابد[1] .

ويلاحظ من فحص بقايا بعض الأبنية القديمة من عهود ما قبل الاسلام أنهـــا خالية من المواد الماسكة التي توضع عادة بين الحجر لتثبيته بعضه على بعض . ومعنى هذا أن المهندسين المعماريين كانوا قد وضعوا هذه الحجارة بعضها فوق بعض على نحو يجعلها كأنها متداخلة بعضها في بعض فتثبت مدة طويلة وتتماسك وتصبح وكأنها قد لصق بعضها ببعض بمادة من المواد المستعملة في العادة في تثبيت الحجارة مثل الجص أو الكلس أو الطين ، ويسمى بـ (الخلب) عند أهل اليمن اليوم[2] .

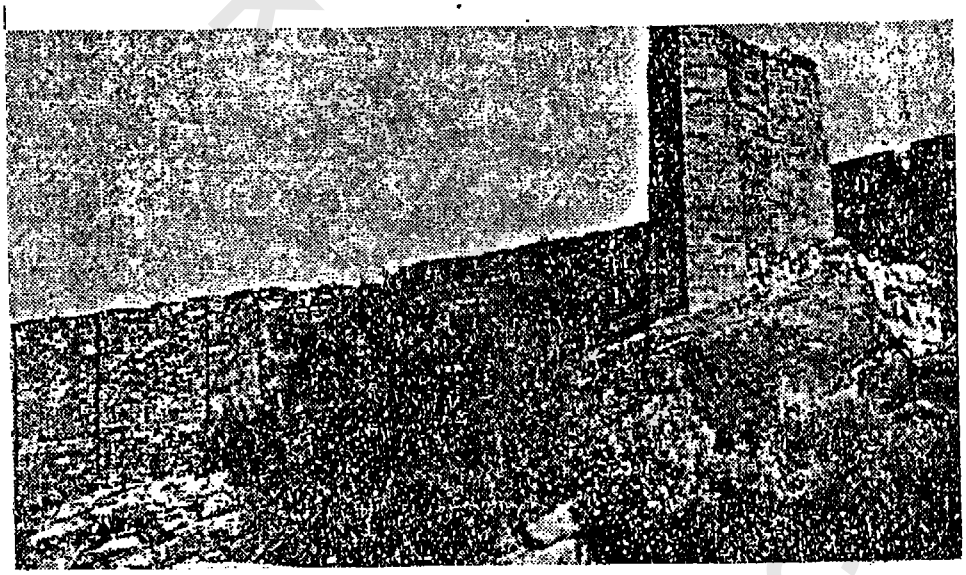

من بقايا سد مأرب

من كتاب : Qataban and Sheba (ص ٢٢١)

والحجارة التي أقصدها هي صخور اقتطعت من الجبال ، وأكثرها هي صخور كبيرة وهي بعد أن تسوّى وتشذب وتهذب يوضع بعضها فوق بعض بحيث تثبت

---

١ المصدر نفسه (ص ٣٩) .

٢ المعظم (ص ١٣٣) .

بعامل الثقل وبهذه الطريقة تقام الجُدُر، ويجري ذلك في المباني الضخمة الكبيرة التي تستعمل فيها الصخور . وأما أوجه الجدر من الداخل فقد تملج بمادة كالجص لتجعلها مُلْساً ناعمة ، وبذلك تسد الفرج بين محال اتصال الصخور .

واستعملت في مباني أخرى المواد البنائية التي توضع بين الآجر والصخور الصغيرة والحجارة لتثبيتها ولضمان تماسكها . ومن هذه المواد الجص والطين والكلس، وقد تكحل الفواصل التي بين الأحجار بالكلس وبالجص لسدّ الفرج بينها وللزينة أيضاً . وأما الجدر الداخلية فتكسى بطبقة لتجعلها جميلة مُلْساً على نحو ما يفعله أهل اليمن وما يفعله غيرهم في الزمن الحاضر . وقد وجدت البعثات الأثرية التي نقبت في العربية الجنوبية بقايا جدران بيوت ، وقد كسيت بطبقة ملساء من الجص، تدل على مهارة البناء في ذلك الوقت . وقد تزخرف المواضع البارزة من الجدار بزخرف يصنع بقوالب خاصة توضع عليها المادة اللينة التي يراد زخرفتها ، فإذا جفت رفع القالب عنها ، فتظهر بارزة بالحفر التي تكون حولها .

وتكسى الجدر الخارجية للبناء بالجص والكلس في بعض الأحيان . فإذا كسيت بالجص ، ظهرت بيضاً ترى من مسافات بعيدة ، جاء في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمراً وجللـه كِلْساً فللطير في ذراه وكـور[1]

وقد ورد أن الجص لغة ، والعرب تسميه القصة[2] .

ولم يكتفِ المتفنن العربي الجنوبي بإقامة الأبنية حسب ، بل استخدم الحجارة للتعبير عن شعوره وعن خواطره ، ينحتها على الصخور ويبثها على ألواح الحجر. وإذا كان العربي الصحراوي قد عبر عن شعوره وعن خواطره بالشعر ينظمه أبياناً أو مقاطع أو قصائد ، يسر نفسه بها ، ويسر الآخرين ، فقد عبر العربي الجنوبي عن مشاعره وخواطره بنوع آخر من الشعر ، هو الشعر المادي المتمثل في البناء وفي النحت والتصوير بالإضافة الى الشعر المعروف الذي لم يترك لنا أثراً مكتوباً منه ويا للأسف .

---

١ الكامل (١/٥٩) .

٢ شمس العلوم (حـ ١ ق ٢ ص ٢٧٩) .

والعربي الجنوبي متفنن بطبعه مذواق ، لم يكتف بهندسة الحجارة وصقلها وتزيينها ، بل اهتم بالألوان كذلك وبالمظاهر الخارجية للبناء . فاتخذ الحجارة الملونة للبناء ، وكوّن منها مناظر متعددة الألوان ، محاكاةً للطبيعة ، وتأثيراً على النظر. وبنى جدران قصر غمدان من حجارة ذات ألوان مختلفة ، فبنى سافاً بالحجارة البيضاء ، وبنى سافاً آخر بحجارة سُود ، وبنى سافاً ثالثاً بحجر أحمر ، وسافاً آخر بحجر أخضر[1] وهكذا ، وذلك إمعاناً في التفنن وفي التزويق ولا شك . وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران بصفائح الذهب والفضة وبالحجارة الكريمة وبسن العاج والأخشاب الغالية الثمينة ، فأكسب البناء روعة وجمالاً وخشوعاً. ونجد ذلك في المعابد وفي القصور[2] .

واستعمل المعمار العربي الجنوبي الرخام لإكساء أوجه الجدران أو في فرش أرض الغرف والمعابد ليكسبها بهجة وجمالاً ، واستعمله ألواحاً رقيقة تزخرف بالصور والنقوش ، لتعبر عن مباهج الحياة ، كما استعمل ألواحاً رقيقة شفافة منه لتكون مكان الزجاج المستعمل في النوافذ في وقتنا الحاضر . ولا يزال أهل اليمن يستعملون الرخام المرقق في نوافذهم ، توارثوا ذلك عن آبائهم وأجدادهم، وهو يعطي النافذة رونقاً وجمالاً لا يتوافران في الزجاج .

وتكون النوافذ والشبابيك في جدار الغرفة المطل على صحن الدار . أما الجدر المقامة على الطرقات والأزقة ، فتكون خالية منها وذلك لئلا ينفذ منها اللصوص أو الأعداء الى الدار ، وليمنع المارة من التطلع الى داخل الغرف والبيوت . أما البيوت المرتفعة المكونة من طابقين فأكثر ، فقد حليت بالنوافذ ، ومن هذه النوافذ ما كان يصنع من الخشب ومنها ما كان يصنع من الحجارة ، ولا سيما الرخام . وجعل العربي الجنوبي الطوابق العليا مواضع للدفاع عند الحاجة ، ولا سيما في الأماكن المنعزلة النائية ، وجعل لمزارعه مواضع مرتفعة مبنية أو من الأخشاب أو على الأشجار لمراقبة من يحاول السرقة وسلب الفلاح ثمار أتعابه .

والنافذة ضرورية جداً بالنسبة للأبنية العالية التي عرفت بها العربية الجنوبية ،

---

١ D.H. Müller, Burgen und Schlösser, I, S. 348.

٢ Strabo, X, 778, Hand. der altar, altir., I, S. 146.

وذلك للدفاع بواسطتها عن البيوت ولدخول النور والهواء اليها ، وقد صنعت من لوح مرقق من الرخام ، عملت فيه ثقوب ، لدخول الهواء منها . وتعمل الألواح المصنوعة من الرخام ألواحاً رقيقة جداً ، وقد تكون شفافة كالزجاج ، لتنـــير الغرف . ولا تزال نوافذ بيوت العربية الجنوبية محافظة على طرازها القديم . وقد استخدمت بعض النوافذ الجاهلية في البناء . وقد صنعوا النوافذ من الخشب أيضاً، زخرفوها بزخارف جميلة وأحاطوها بأحجار أو بمرمر لتمسكهـــا ولتعطيها منظراً جميلاً .

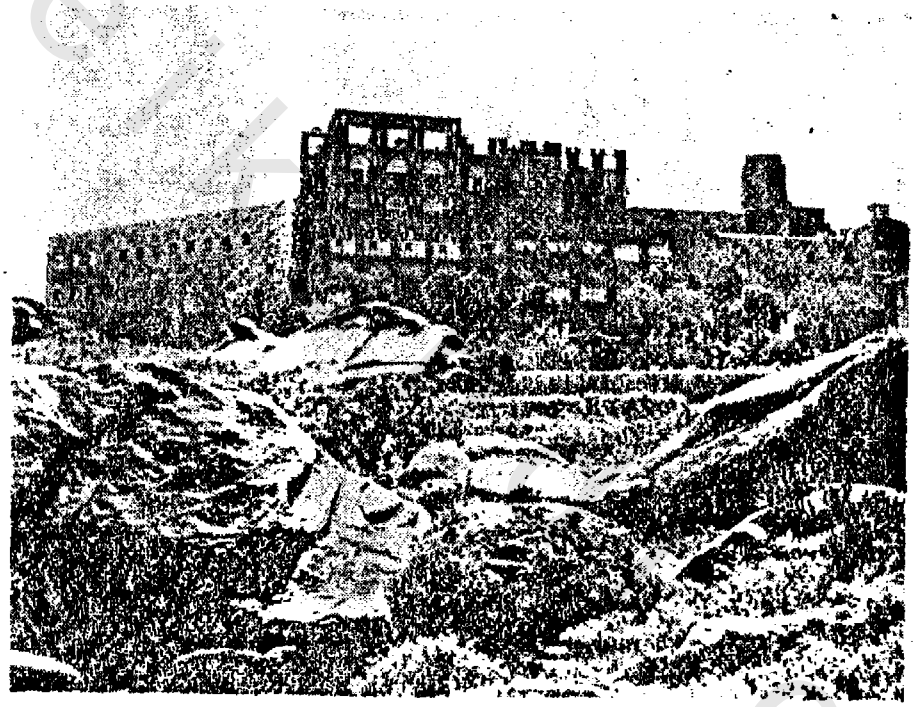

قصر الامام أحمد بمدينة « تعز » ، وترى نوافذه وهي ذات طابع يماني قديم
من كتاب : Gunther Pawelke, Jemen. (ص ٥٧)

ويعبر في اللحيانية بلفظة (بت) ، أي (بيت) عن معنيين ، عن معنى (بيت) ، أي موضع سكن ، وعن معنى معبد . وذلك كما في هذه الجملة : « بنيو بت هصن لذ غبت »[1] ومعناها : « بنوا بيت هصن لذي غابـــة » ،

١ النص رقم ٢٦ من كتاب : W. Caskel, S. 88.

و (ذو غابة) هو إلـه اللحيانيين ، أو بتعبير آخر : (بنوا معبد هصن للإلـه ذي غابة) .

ويعبر عن البناء والبناية بلفظة (مبنى) في لغة سبأ[1] . وهي من أصل (بنا) (بنى) .

وقد ذكر علماء اللغة اسماء الدور بحسب نوع بنائها من حيث المادة أو المساحة أو الارتفاع وغير ذلك . ويقال للدار المنزل كذلك والدارة والمنزلة والمباءة والمعان والوطن والمغنى والمثوى والمربع[2] . والصرح هو كل بناء مرتفع . وأما الأطم والأجم فالحصن .

والدار المسكن والبيت،وترد اللفظة في النصوص اللحيانية ، قال (ابن الكلبي) : « بيوت العرب ستة : قبة من أدم ، ومظلة من شعر ، وخبـاء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وقتة من حجر ، وسوط من شعر ، وهو أصغرها » . وقال البغدادي : الخباء بيت يعمل من وبر أو صوف ، أو شعر، ويكون على عمود أو ثلاثة ، والبيت يكون على ستة أعمدة الى تسعة . والخيمـة في عرف العرب : كل بيت من بيوت الأعراب مستدير ، أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها في الحر ، أو أعواد تنصب وتجعل لها عوارض وتغلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . أو عيدان تبنى عليها الخيام ، أو مـا يبنى من الشجر والسعف يستظل به الرجل اذا أورد إبله الماء. والخيمة عند العرب البيت والمنزل وسميت خيمـة[3] لأن صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي . وورد أن الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ، ثم تسقف بالثمام ولا تكون مـن ثياب ، وأما المظلة ، فمن الثياب وغيرها[4] .

و (القبة) من البناء ومن الأدم . وقيل : القبة من الخباء بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب[5] . و (المظلة) : الكبير من الأخبية ، قيل : لا تكون إلا من الثياب ، وهي كبيرة ذات رواق ، وربما كانت شقة وشقتين وثلاثاً ،

---

١ Jamme, South Arabian. Inscriptions, p. 439.
٢ بلوغ الارب (٣٨٩/٣ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٥٢٩/١) ، (بيت) .
٤ تاج العروس (٢٨٥/٨) ، (خيم) .
٥ تاج العروس (٤١٩/١) ، (قبب) .

وربما كان لها كفاء ، وهو مؤخرها . قال بعض العلماء لا تكون المظلة إلا من الشعر خاصة . إلى غير ذلك من آراء[1] . والخباء : ما يعمل من صوف أو وبر ، وقد يكون من شعر ، وقد يكون على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك ، فهو بيت[2] .

ويظهر من تضارب آراء العلماء في تعريف الأسماء المذكورة ، انهم أخذوا معانيها من موارد مختلفة من رعاة ومن شبه حضر ومن أعراب ، ومن جهات مختلفة ، فكان كل مورد يفسر الشيء تفسيراً يختلف عنه عند مورد آخر ، فتضاربت من ثم تلك الآراء .

ويقال لصحن الدار : حُرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها وبحبوحتها. وفي الدار البيت . والمخدع ، وهو البيت في البيت ، والنفق والسرب ، فالبيت تحت البيت ويتألف البيت من غرف . والغرفة في أعلى هي (العلية) والجمع علالي. والخزانة هي التي يحفظ فيها الشيء . والمرقد ، هو المضجع[3] .

وما يحيط بالبناء هو الحائط والجدار . والأُس هو أصل الحائط . والرهص ، هو البناء من الطين الموطوء ، ينضد بعضه فوق بعض ، ويقال للنضدة الواحدة دمص ، أما النضدة السفلى ، فيقال لها رهص[4] . والخط الواحد من الحائط ساف ، ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف[5] . وإذا أقيم الآجر بعضه فوق بعض ، فهو السميط[6] . ويقال للحائط حين يبلغ العقد أو التقيف أو التقبيب ، ارتفع الحائط . ويقال للعقد : عقد الأزج وللبيت مغمى إذا سقف بالخشب ، وبيت مقبب إذا كان ذا قباب . أما إذا كان على هيأة السنام ، فيقال له بيت مسنم. والبرزخ الفرجة بين الأزجين في صهوة البيت ، والهدف ترس الأزج .

وتقوى الجدر بالأوتاد ، وذلك برز الوتد في الحائط عند البناء ، وقد عثر

---

١ تاج العروس (٧/٤٢٧) ، (ظلل) .
٢ تاج العروس (١/٦٠) ، (خبأ) .
٣ بلوغ الارب (٣/٣٨٩) .
٤ « والدمص بالكسر : كل عرق من الحائط خلا العرق الاسفل فانه رهص » شرح القاموس (٤/٣٩٦) ، بلوغ الارب (٣/٣٩٠) .
٥ شرح القاموس (٦/١٤٧) .
٦ شرح القاموس (٥/١٦١) .

على أوتاد من الخشب مرزوزة في بقايا أبنية السبئيين والمعينيين وغيرهم لتقوية الجدر ، أو لاستعمالها لأغراض أخرى ، مثل تعليق أشياء عليها، أو استعمالها بمثابة السلالم للتسلق إلى أعلى .

وفي الدار الصُّفَّةُ ، وتسمى بحسب الجهة المتجهة اليها . ويقال صفة فراتية إذا كانت الشمس لا تقع فيها رأساً . و (المقنوءة) مكان ظله دائم ويكون بارد الهواء . والزاوية ملتقى الحائطين في البيت . والكوة الثقب في أعالي البيت . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التي في الحائط . ويقال لها الأوقة ويقال بيت مأوَّق[1] .

ويقال للسطح الإجار والصهوة . وسقف البيت أعلاه الداخل . وأما سمكه ، فما كان بين قراره الى سقفه . والطّاية السطح . والدرج المرتقى الى السطح إن كان من خشب دعي بـ (سلم) . وكل مرقاة عتبة . والفرغ الخلاء بين المرقاتين. والعلاوة هي أعلى الحائط الذي لا يغمى . والتفاريج والطنف آجر أو نحوه يجتح به أعلى الحائط ليقيه المطر أن يسيل عليه . وهو الكثة والافريز . والهرادة من الخشب لأعالي الحيطان ، والنجيرة سقيفة بخشب لا يخالطها غيره[2] .

ويسقف البيت بالخشب ، يوضع عليه عُرضاً ، ويسمى (العراص) ، ثم تلقى عليه أطراف الخشب الصغار[3] . وقد يطيَّن ، أو يجصّص ، أو يبنى فوقه ليمنع المطر من السقوط من خلال الخشب على البيت ، وحرّ أشعة الشمس من النفاذ اليه .

وكانت بيوت أزواج النبي من اللبن ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين، وعلى أبوابها مسوح الشعر[4] . وهذه كانت صفة معظم بيوت أهل يثرب والمدينة، ما عدا بيوت الأثرياء ، فقد كانت من حجر وكلس ولها كل وسائل الترفيه والراحة المتوفرة بالقياس الى ذلك الزمان .

واللبن جمع لبنة . وأما الذي يعمل اللبن ، فهو اللبان . واللبن الآلة التي

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٠) .
٢ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٣ البرقوقي (ص ١٣٧) .
٤ طبقات ابن سعد (١/٤٩٩ وما بعدها) .

يضرب بها . والسابل ، الأداة التي ينقل عليها . والسميقـان والأسمقة خشبات يدخلن في السابل . والطوب هو الآجر ، والطباخ هو الذي يطبخ أتونه، والأطيمة: أتون الجرار والقصاع وأمثالها . والبلاط : الحجارة تفرش بها الأرض . ويقال أرض مبلطة ، إذا فرشت بالبلاط[1] .

وقد عرف بعض علماء اللغة اللبن بأنه المضروب من الطين مربعاً للبناء[2]، وتقابل لفظة (اللبنة) كلمـة Libbatu في الأشورية ، و (لبيتو) و (لبنتو) في الإرمية[3] .

والطيّان ، الذي يعمل الطين ، ويطين الحائط أو السطح ، ويشتغل بالطين . والملاط ما رق من الطين . ونحوه السيّاع . ويقال للمالج الذي يمسح بـه وجه الحائط المسجّة والمسيعة . وأما الخيط الذي يقدر به البناء ، فيقال له (المطحر) . والشيّد والشص الجص . والجصّاصة موضع الجص . والملاّحة مجمد الملـح . والجيـار والكلّس الصاروج . والصاروج النورة وأخلاطها . والثلاجة مكبس الثلج[4] .

وتوضع في سطوح الدور ميازيب لتسيل منها مياه الأمطار إلى أسفل ، وتعرف بـ (المثاعب) ، وواحدها (مثعب) ، ويكون من خشب وغيره . ويسيل الماء إلى (البالوعة) ويقال لها (البلّوعة) كذلك[5] . ولفظة (مثزاب) و (مرزاب) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، ولكنها من الألفاظ القديمة الداخلة إلى العربية[6].

وموضع الطبخ في الدار هو المطبخ . وأما المخبز فهو موضع التنور . ويقـال للتنور الوطيس والهيلم والمسعر كذلك . والكرامة طبق التنور ، والمناقـة حجره . وأما الساعور، فتنور صغير في الأرض[7] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٢ شرح القاموس (٩/٣٢٨) .
٣ برصوم (ص ٢٦٩) .
٤ بلوغ الارب (٣/٣٩١) .
٥ بلوغ الارب (٣/٣٩١ وما بعدها) .
٦ المعرب (ص ٣٢٦) ، المغرب (ص ١٤) ، شرح القاموس (٣/٢٦٩) .
٧ بلوغ الارب (٣/٣٩٢) .

والسور هو حائط الحصن والمدن. وأما الربض، فحائط حول السور. والشرف هو ما أشرف فوق الحائط، ويتشرف الناس من ورائه[1]. ويعبر عن (السور) بـ (حل) Hel في العبرانية، أي (حائل)، وهو الحائط الذي يحيط بالمدينة[2]. وتطلق لفظة (حال) و (حويل) على الحائط، وعلى الحدّ الذي يفصل بين ملكين، لأنه حائل يحول بين الأملاك وبين الأشياء، فلا تختلط ويمتزج بعضها ببعض[3].

---

١ بلوغ الارب (٣/٣٩٢ وما بعدها).
٢ Roland de Vaux, Ancient Israel, London, 1961, p. 233.
٣ تاج العروس (٧/٢٩٥)، Rhodokanakis, Stud., II, S., 31.

obeikandl.com